Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 12:2-3-4 (1977)

اهمية الجماعة عند اقبال

الزعيم المتقاعد جلزار احمد ، راولبندى

ترجمة : غازى صلاح الدين

قال اقبال فى بيت له :

عروج آدم خاكى سے انجم سہمے جاتے هيں

كه يه ٹوٹا هواتارا مه كامل نه بن جائے

(ترجمة) ''ان الكواكب لتخاف من رقى آدم المتزايد، الذى خلق من تراب، لئلا يصير هذا النجم الهاوى بدراكاملا،، .

و هنا ينشأ سؤال، من هذا آدم، الذى أخاف الكواكب النيرة فى السماء من ارتقائه ؟ هل هو فرد لا يتقيد بنظام ام ارادبه الفرد الذى جمع فيه الخصال الحميدة، ملتزما بنظام قوى، و يعيش كعضو الجماعة القوية المنظمة ؟

اننا لنعرف ان اقبالا قد تعمق فى دراسة الافكار الغربية، غير ان اساس معرفته كان على العلوم الدينية، وقد عاش طوال حياته فى المجتمع الاسلامى . ان فلسفة الغرب تعد الدين و الدنيا و حدتين منعزلتين عن الاخرى، اما الفلسفة التى خلقت مجتمع اقبال و فلسفته كانت تعد الحياة وحدة لا تنقسم، و بالنتيجة فالفرد والجماعة فى المجتمع الاسلامى شيئان لا ينفصل احدهما عن الآخر .

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

ان تصور الغرب عن ''الخطيئة الاصلية،، يضطرهم الى الانغماس فى اللذات والاخلاد الى الارض لاعتقادهم ان الانسان يولد مذنبا و كون الذنب ضربة لازب له، و لذلك لا تكاد تجر فى فلسفته طهارة الجماعة، و على خلاف ذلك فان اقبالا، لا يحب ان يرى الجماعة ادأب فى العمل من الفرد فحسب، بل يعد ضلال الجماعة اسوأ من ضلال الفرد، يقول اقبال :

فطرت افراد سے اغماض تو کر لیتی ہے
کبھی کرتی نہیں امت کے گناہوں کو معاف

(ترجمة) ''ان الطبيعة لتصرف النظر عن الافراد، غير انها لا تغفر ذنوب الامة ابدا .،،

لاينكر امكان وجود المجتمع الصالح الا من يعد العصيان والذنب ضربة لازب للانسان، والذى لا يؤمن فى بعض الاحايين باصلاح الافراد الضعفاء و رجوعهم عن الضلال واستغفارهم .

ان اقبالا ليعترف بوجود الفرد فى ضمن الجماعة، اما وجوده خارج الجماعة منعزلا عنها فانه ينكره البتة . انظروا كيف بين هذه النقطة اجمل تبيين :

فرد قائم ربط ملت سے ہے تنہا کچھ نہیں
موج ہے دریا میں اور بیرون دریا کچھ نہیں

(ترجمة) ''ان وجود الفرد باق لارتباطه بالامة، وانه على انفراده ليس بشئ كما ان الموج يبقى فى البحر ولا وجود له خارج البحر .،،

ان الفرد الذى يعتزل عن الجماعة ويأبى ان يعاشر الناس يفقد مكانه، كالموج الذى يتجنب تلاطم الامواج واضطرابها و يلوذ طافرا الى الساحل، و فى نفس

اللحظة يدفن نفسه فى رمل الساحل : اما الموج فمادام فى البحر او الفرد فى الجماعة فلهما كيانهما و حياتهما ، وصح ان نقول :

نہین ساحل تری قسمت مین اے موج
ابھر کر جس طرف چاہے نکل جا

(ترجمة) ''ايها الموج : ليس الساحل فى نصيبك، فامض ناتئا الى اى جهة تريدها،،.

ان الفرد مادام عضو الجماعة يستطيع ان يذهب بالزبد و الغثاء كجرف سوج السيل، اما اذا وضع خطوته على الساحل، منعزلا عن المجتمع، فانه يحرم من مكانة آدم الترابى . ان تقدم الفرد ورقيه يبقيان مادام هو يبقى فى الجماعة كعضوها، اما بعد انعزاله عن الجماعة فلا يكون نصيبه الا ان يقع على الارض كالجماد، ولا يمكن له ان يشمل الزمان . لانه مادام فى الجماعة كان يشترك معها بالتوالى فى التكبير واعلاء كلمة الله . اما وقد اعتزل عن الجماعة وانفصل، فلا نصيب له الا ان يذكر الله منفردا فى الغار ويسبحه . فليس هو ممن يتحدى الملائكة و يقول لربه !

مقام شوق ترے قد سیوں کے بس کا نہین

(ترجمة) ان مقام الشوق خارج عن نطاق ملائكتك .

والذى يفتخر بقوله :

میری نوائے شوق سے شور حریم ذات میں
غلغلہ ہائے الاماں بتکدہ صفات میں

حور و فرشتہ ہیں اسیر میرے تخیلات میں
میری نگاہ سے خلل تیری تجلیات میں

(ترجمة) اننى اقمت ثورة فى حظيرة القدس بأنا شيدى

كما احدثت ضجة فى مصنم الصفات

و اسـرت الحـور والملائكة بـأفكارى

و ان نظرى ليحـول بيـن تجلياتك

و الذى يدعوه اقبال قائلا :

اٹھ كه خورشيد كا سامان سفر تازه كريں

نفس سوختهٔ شام و سحر تازه كريں

(ترجمه) ''قم لنجدد زاد الشمس و نعطى الليل والنهار الحسيرين، حياة جديدة .،،

و هل يطيق تجديد الحياة الا من كان مزودا بقوة عمل الجماعة ، اما الذى يفر من مسئوليات الحياة و ينعزل عن تبعاتها، فانه لا يقدر على التحكم فى نفسه فضلا من تجديد الايام والليالى .

ان هذا العالم قد خلق للانسان، و قد امرنا بتسخيره فى بداية الحياة، ولا يسخر الكائنات الا افراد الجماعة المنظمة، و هذا العبٔ الثقيل لا يطيق حمله من ترهب و ترك الدنيا . ولم يخاطب عند بداية الخلق بالكلمات التالية الا الناس المنظمون :

هيں تيرے تصرف ميں يه بادل يه گھٹائيں

يه گنبد افلاک يه خاموش فضائيں

يه كوه يه صحرا يه سمندر يه هوائيں

(ترجمة) ''لقد وضعنا السحاب وهذه السموات والارض وما فيها من رياح و جبال و بحار و صحارى فى تصرفک،، .

لقد استقبل الروح الارضية بهذه الكلمات آدم، لانه كان فردا فى المجتمع الراقى، لا لاجل انه كان فردا منعزلا تائها ضالا، الذى يئس من الحياة، و فر من احتمال مسئولياتها، من هذه الناحية كان اقبال لا يعتنى الا بالأمة والشعب، ولقد قال فى الامة الحية :

صورت شمشير ہے دست قضا میں وہ قوم
کرتی ہے جو ہر زمان اپنے عمل کا حساب

(نرجمة) ''ان الامة التى تحاسب اعمالها كل زمان هى كالسيف الصارم فى يدالقضاء والقدر،، .

و لذلك تراه يقول فى حياة الامة انها اطول من حياة الافراد :

اسم را از شهان پائنده تر دان
نمی بینی که ایران ماند و جم رفت

(ترجمة) ''واعلم ان الاسم ابقى من الملوك، الاترى ان ايران باقية، و ذهب الملك جمشيد،،

و عندما تؤمن أية أمة بالله إيمانا محكما تكون هى قضاء الله :

صف جنگاہ میں مردان خدا کی تکبیر
جوش کردار سے بنتی ہے خدا کی آواز

(ترجمه) ''أن تكبير رجال الله فى ساحة الحرب يتحول بقوة عملهم الى ''صوت الله،، .

و من أمارتهم :

أن قلب الجبال تجف من هيبتهم .

و من ناحية اخرى عندما تنحل نظام الشعب، ترى منابع قوته قد جفت مع انه يوجد فيه الافراد المستنيرون عالى الهمة، و ذلك لعدم اجتماع القوة والطاقة فيه، لفقدان التمركز عنده . ان القوة لا تؤثر الا بعد تركزها، هذه النقطة صرح بها اقبال بصورة رائعة :

قوموں کے لئے موت ہے مرکز سے جدائی
ہو صاحب مرکزتو خودی کیا ہے خدائی

(ترجمة) ''ان مفارقة المركز لهو موت للاسم، واذا كانت الامة متمسكة بالمركز فما الذات الاقوة الله،، .

لا يختلف اثنان فى ان الذاتية جمال و جلال لمن يعرف نفسه حق المعرفة، غير ان هذا الجلال و ذاك الجمال لا يبرزان الا بعد ما يجدان وحدة الامة وانسجام افكارها، كما قال اقبال :

ہے زندہ فقط وحدت افکار سے ملت

(ترجمة) ''ان حياة الامة تتوقف على وحدة افكارها،، .

و مع ذلك فانه يخبرنا :

وحدت کی حفاظت نہیں بے قوت بازو
آتی نہیں کچھ کام یہاں عقل خداداد

(ترجمة) ''لا يمكن الحفاظ على الوحدة بدون القوة، ولا يجدى العقل الموهوب هنالك،، .

وفی موضع یثیر اقبال سؤالا :

محکم کیسے ہو زندگانی ؟ کس طرح خودی ہو لازمانی ؟

کیف تحکم الحیاة ؟ و کیف تخلد الذات ؟

و تجد جواب هذا السئوال عند اقبال، ان الامة لا تستحق ان تسمی بالأمة الا بعد ان تلغی الفوارق کلها، کما قال :

نه افغانیم ونے ترک وتتاریم چمن زادیم واز یک شاخساریم

تمیز رنگ‌و بو برما حرام است که ماپروردهٔ یک نو بهاریم

ان امتیاز اللون والرائحة (والجنسیة واللغة والنسب) حرام علینا، فاننا ولدنا فی روضة، کما نشأنا فی غصن، وربینا فی ربیع واحد، فلسنا بالافغان ولاالترك ولا التتار .

———o———